**دراسة الحالة 22**

**وضع تدابير صون لمواجهة المخاطر والتهديدات المُحدقة باحتفال طقسي في المكسيك[[1]](#footnote-1)**

**اسم العنصر ولمحة مختصرة عنه**

يعود أصل الاحتفال بطقس الفولادورِس (Voladores)، أو الرجال الطائرون، المُدرج في القائمة التمثيلية منذ عام 2009 إلى فترة ما قبل الاستعمار. وكانت تمارسه في الماضي جماعات ومجموعات مختلفة في منطقة واسعة من أمريكا الوسطى. أما اليوم، فما زالت تمارسه جماعة توتوناك (Totonac) في المكسيك. ففي منطقة توتوناكابان (Totonacapan)، هناك 33 مجموعة فولادورِس مسجلة و3 مدارس لأطفال فولادور و3 جمعيات فولادورِس ونحو 500 فولادورِس.

وعند التحضير للاحتفال في حد ذاته – في حالة إجراء الطقوس التقليدية كلّها – تُقطع شجرة وتُنقل وتُعدّ وفقاً للطقوس ثم تقام في ساحة مركزية. وتشمل الطقوس التحضيرية تقديم القرابين إلى الأرض. أما الأشخاص الذين يشاركون في الاحتفال، فيخضعون لتحضيرات بدنية وروحية. وفي خلال الاحتفال، يتسلّق خمسة رجال العمود الذي يتراوح طوله بين 18 و38 متراً. وفيما يرقص أحدهم في الأعلى ويعزف على الناي والطبل، يتأرجح الآخرون من العمود على حبال، ويدورون حول العمود كما لو كانوا يطيرون. وعلى الرغم من أن الاحتفال يؤدى بطرائق مختلفة، فإنه كان وما زال في جوهره طقساً للتواصل مع الآلهة وضمان خصوبة الأرض. ولذلك، يُنظّم الاحتفال خلال مختلف المناسبات والأعياد، مثل الاحتفالات بالقديس الراعي، والكرنفالات، وفترات انقلاب الشمس الشتائي والصيفي والاعتدال الربيعي والخريفي، والاحتفالات بمناسبة يوم ذكرى الموتى، وخلال المراسم المرتبطة بالزرع والحصاد. وغالباً ما يؤدى الجزء الاستعراضي بامتياز من التقليد، أي الطيران حول العمود، خارج البيئة التقليدية للجماعة، وصارت تقدّمه في أكثر الأحيان عدة مجموعات من رجال فولادورِس المحترفين الذين يستخدمون أعمدة حديدية مثبّتة في الأرض بشكل دائم.

**الاستدامة**

ساهم جمال مرحلة الطيران في طقس الفولادورِس وطابعها الاستعراضي في تعزيز مكانة هذا الاحتفال بصفته أحد التقاليد الأصلية الرمزية في المسكيك. وما زال الاحتفال مُمارساً بصورة منتظمة، وما زالت المهارات المطلوبة لأدائه تُنقل إلى أطفال فولادور. وعلى الرغم من الهجرة الكثيفة إلى خارج المنطقة، تحرص جماعة توتوناك كلّ الحرص على المحافظة على هذا التقليد. ويعرب رجال فولادورِس الأكبر سناً في الجماعة عن استيائهم من أن احتفالات كثيرة تقدَّم اليوم إلى السياح بطريقة مجتزأة، فلا تشمل اختيار الشجرة وقطعها وإعدادها وفقاً للطقوس لتحويلها إلى عمود، والتحضيرات التي يخضع لها الرجال الطائرون. وقد دعم مجلس منطقة توتوناكابان إنشاء جمعيات فولادورِس ومدارس أطفال فولادور للمساعدة على نقل هذا التقليد. ورحّب ممارسو تقليد فولادور وجماعة توتوناك بهذه الجهود. وقد سُجّل ارتفاع في عدد الطلاب الملتحقين بمدارس أطفال فولادور في السنوات الأخيرة، مما يعبّر عن الرغبة في الاستمرار في ممارسة هذا العنصر.

**تهديدات تحدق باستدامة العنصر**

* *تراجع في مدى توافر العواميد الخشبية*: كانت العواميد المستخدمة في الاحتفال تُصنع تقليدياً من شجرة تساكا كيوي (Tsakàe Kiwi) (أي عمود الرجل الطائر)، إلا أن إزالة الغابات في المنطقة بسبب الرعي الجائر أدّت إلى تدني كمية هذه الأشجار. وقد استُعيض عن العواميد الخشبية بعواميد حديدية ثابتة في أماكن عدّة. ويؤثر استخدام العواميد الحديدية الثابتة على معنى الطقس هذا، لأن التواصل الروحي ما بين العالم الطبيعي والعالم فوق الطبيعي يتحقّق من خلال طقوس اختيار شجرة تساكا كيوي وإعدادها لتكون عمود الطيران.
* *فقدان الأبعاد الطقسية والروحية للاحتفال*: على الرغم من أنه يُفترض إجراء طقوس فولادورِس كاملةً في أوقات محددة من السنة وفي مناسبات محددة، فإن مرحلة الطيران في الاحتفال صارت تقدَّم في أي وقتٍ كعرضٍ بهلواني للسياح. ويؤدي تقديم مرحلة الطيران الاستعراضية وحدها، خارج السياق الطقسي، إلى تقويض بُعدها الروحي وإلى تقدير سطحي لها من جانب المشاركين والمشاهدين من داخل الجماعة المعنية وخارجها، باعتبارها عرضاً تجارياً أو ترفيهياً. وتقضي الطقوس بأن يضطلع الرجال الطائرون في الاحتفال بدور الوساطة ما بين الآلهة والبشر. ولذلك، كان رجال فولادورِس والجماعة عامةً يخضعون لمرحلة من الإعداد الروحي الشخصي قبل الاحتفال، حرصاً على تحقيق نتيجة إيجابية. أما اليوم، فقد برز مؤدّون "محترفون" لتلبية طلب قطاع السياحة، وهم يركّزون على مرحلة الطيران من الاحتفال، وبالتالي على الإعداد الجسدي عوضاً عن الإعداد الذهني. وقد لا يتعلمون إذن بعض التقنيات التقليدية التي تسمح بتجنّب الإصابات.
* *الافتقار إلى المعلومات الكافية بشأن الاحتفال*: يفتقر الشباب الذين يعيشون في المنطقة إلى معلومات موثوق بها بشأن الاحتفال ووظيفته التقليدية ضمن جماعاتهم. وبالإضافة إلى ذلك، يهاجر عددٌ كبير منهم من المنطقة. ويقتضي صون الاحتفال بالتالي إيجاد طرائق ملائمة لتشجيع من بقي من جيل الشباب على دعم الاحتفال وتقدير قيمته ووظيفته ضمن الجماعة والمشاركة فيه كمشاهدين أو مؤدين.

**تدابير الصون السابقة**

كانت جمعيات فولادورِس تتواصل بعضها مع بعض ومع المسؤولين الرسميين لمناقشة المشاكل التي تواجهها والحلول المحتملة، بغية المساعدة في صون الاحتفال. ويشرك رجال فولادورِس الأكبر سناً والممارسون مشاركةً فاعلة في نقل مهاراتهم من خلال آليات التمهّن التقليدي والمبادرات الجديدة. وقد أُنشئ مركز الفنون الأصلية بفضل استثمار حكومي في المنطقة، وهو يعزّز ثقافة توتوناك من خلال تشجيع كبار السن على مشاطرة شغفهم ومعارفهم وخبراتهم مع راشدين وشباب وأطفال في المنطقة. وافتتح المركز مدرسةً لأطفال فولادور في بابانتلا (Papantla) لتدريس الطقوس التقليدية كاملةً وخلفيّتها. وأُنشئت مدارس أخرى أيضاً كمدرسة كغوسني (Kgosni) لأطفال فولادور من جماعة توتوناك في مركز الفنون الأصلية في بابانتلا، ومدرسة لأطفال فولادور في جماعة تشيلا (Chila) في بلدية هوني (Honey).

وقد أدّى الاستثمار الحكومي الرامي إلى النهوض باقتصاد المنطقة وثقافتها حول موقع "إل تاجين" (El Tajín) الأثري الى تعزيز الممارسات الثقافية المحلية، مثل احتفال فولادورِس. وقد استُحدثت قمّة تاجين، على سبيل المثال، في عام 2000 كمهرجان جديد يشارك فيه فنانون من شتى بلدان العالم ويتشاطرون في إطاره تقاليدهم وممارساتهم وشعائرهم المحلية مع زائرين محليين وأجانب. وقد أفضى هذا المهرجان المتعدّد الأوجه إلى زيادة العائدات السياحية في المنطقة زيادةً لافتة وألقى الضوء على ثقافة توتوناك، وإن لم يكن قد ساهم بالتحديد في صون احتفال فولادورِس. وتتوافر مهرجانات أخرى يلتقي في إطارها ممارسو فولادورِس من مختلف أنحاء المكسيك ويقدّمون العروض الواحد تلو الآخر ويتشاطرون الأفكار بشأن كيفية الاستمرار في تنظيم الاحتفال.

وقد موّلت الدولة مركزاً للمعلومات والتوثيق متخصّصاً في ثقافة توتوناك، يركز تركيزاً خاصاً على جمع مختلف المجموعات المرجعية والسمعية البصرية حول طقس الفولادورِس. وقد دعمت الوكالات البيئية المموّلة من الدولة برنامجاً رائداً لإعادة التشجير من أجل زراعة أشجار تساكا كيوي، ويُرتقب توسيع نطاقه قريباً.

**وضع تدابير الصون بمشاركة فاعلة من المجتمع المحلي**

شاركت جمعيات فولادورِس مشاركةً فاعلة في وضع خطة صون. وأُنشئ مجلس تنسيقي خلال إعداد ملف الترشيح للإدراج في القائمة التمثيلية، وهو سيساعد لاحقاً في تنسيق الجهود الرامية إلى تنفيذ خطة الصون.

وقد وضع فريقٌ متعدّد الاختصاصات يضمّ ممثلي الجماعات تدابير الصون استناداً إلى سلسلة من الاجتماعات مع الجهات المعنية. وشارك في هذه الاجتماعات رجال فولادورِس (كأفراد وأيضاً كممثلي جمعيات)، ومجلس توتوناك الأعلى، وجمعيات مدنية مختلفة، ومفكّرون، وجامعات رسمية وخاصة، ومنظمات بلدية تابعة لمنطقة توتوناكابان في فيراكروز (Veracruz)، إلى جانب عدد من المؤسسات الاتحادية المتخصّصة في الثقافة، وحكومة ولاية فيراكروز. وتناولت الاجتماعات النقاط التالية:

* آراء المشاركين بشأن معنى الاحتفال وقيمته؛
* المشاكل القائمة، ولا سيّما المخاطر التي تهدد استدامة الاحتفال؛
* تدابير الصون المحتملة.

**بعض تدابير الصون الأساسية المُقترحة:**

الحرص على توافر العواميد لأداء هذا العنصر:

1. وضع قائمة لحصر العواميد المتوافرة (خشبية كانت أم حديدية) وتشخيص حالتها؛
2. إتاحة انتفاع جماعات توتوناك بالأشجار الملائمة لإعداد عواميد الطيران؛
3. تنظيم حملات إعادة التشجير مع الجماعات لزراعة أشجار تساكا كيوي بغية ضمان توافر العواميد الخشبية لأداء طقس الفولادورِس في المستقبل؛
4. إنشاء مناطق محمية في عدد من بلديات توتوناكابان لحماية أشجار تساكا كيوي؛

الحرص على عدم فقدان البُعد الطقسي للاحتفال:

1. الحرص على أداء الاحتفال كاملاً في الأوقات الملائمة على يد حمَلة التقليد، ولا سيّما الطقوس المرتبطة بإقامة العمود وتقديم القرابين إلى الأرض، وذلك إلى جانب تقديم الأداء الموجه إلى السياح؛

تعزيز نقل العنصر بالطرائق الملائمة:

1. تقديم الدعم المالي إلى مدارس أطفال فولادور وزيادة نسبة الالتحاق بها؛

تشجيع جمع المعلومات وتشاطرها لأغراض الصون والتوعية:

1. تعزيز البحوث بشأن العنصر، وتشجيع الجماعات على المشاركة في البحوث وعلى استخدام التكنولوجيات الجديدة، كتسجيلات الفيديو، لنقل معلومات هامة بشأن الاحتفال؛
2. وضع قائمة بالأماكن والمناسبات التي تُقدّم فيها الاحتفالات كاملةً أو مجتزأة؛

استحداث بيئة تشريعية وإدارية تمكينية:

1. الحرص على أن يساعد الإطار التشريعي وإطار السياسات على المستويَين الإقليمي والوطني في ضمان الاعتراف بأهمية العنصر (على أنه تراث ثقافي إقليمي مثلاً) وفي تشجيع صونه (من خلال الدعم الرسمي مثلاً)؛

التوعية بشأن العنصر:

10- توزيع منشورات عن الاحتفال باللغات الأصلية؛

11- إدراج معلومات بشأن الاحتفال في مناهج مدارس المنطقة؛

12- تشاطر المعلومات بشأن الاحتفال محلياً ووطنياً ودولياً.

1. تعتمد المعلومات المقدّمة في دراسة الحالة هذه على ملف ترشيح العنصر الثقافي المذكور أعلاه كما قُدّم إلى اليونسكو، ولكنها ليست نسخة طبق الأصل عن المعلومات التي تشملها خطة الصون الواردة في ملف الترشيح:

   http://www.unesco.org/culture/ich/en/RL/00175 [↑](#footnote-ref-1)